محمد ﷺ خطيبًا

لا يقدر تأثير محمد ﷺ فى الخطابة العربية على مر العصور ، إلا من عرف كيف كانت الخطابة العربية قبله ، وكيف صارت بعده .

نحن نعلم أن حياة الحروب والغارات فى الجاهلية مع الحرية التامة للقائلين ، قد أوسعت مجال الخطابة الجاهلية ، إذ إن من المقول الطبيعى أن تفيض الألسنة الفصيحة بما تجيش به الصدور فى مواقف عابسة تختلط فيها الأمور ، ويفزع الناس إلى ذوى العقل والرئاسة فيهم ؛ ليسمعوا منهم ما يوضح الغوامض ويجلو الدياجير، وهؤلاء لابد أن يتوسطوا الملأ ليقولوا بما توحيه عقلياتهم ومنازعهم . فازدهار الخطابة فى المجتمع الجاهلى أمر يتفق وطبيعته ، فهو مجتمع ذو أحداث وذو رجال ، فلابد من القول الواسع العريض .

ولكن أى ازدهار ذلك ؟ هل هو ازدهار الفكرة الصائبة ، والمنطق المتسلسل والأسلوب المطرد ؟ إن ما لدينا من بقية ما حفظته الأجيال لا يوحى بشىء من ذلك؛ فالخطبة الجاهلية لا تعنى بالترتيب والتسلسل ، ولا تخاطب العقل مخاطبة واعية بصيرة ، ولكنها صرخة متحمس يصيح بها فى ملأ . حتى ذكر بعض الناقدين[1] أن الخطابة المنطقية المقنعة قد ازدهرت فى بلاد اليونان والرومان ، وعز على أرباب الفصاحة فى الجاهلية أن يوجدوا خطبًا متماسكة ، وهذا كلام فيه كثير من الحق ؛ لأن شيوع الارتجال بمعناه الفطرى قد دفع كل قائل إلى القول دون إعداد ، وقد عبر عن ذلك (الجاحظ) حين قال : « وكل شىء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليس هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا إجالة فكرة ،

(١) « فن الخطابة »، ص ١٨٢ للدكتور الحوفى .

ولا استعانة ، فما هو إلا أن يصرف همه إلى جملة المذاهب ، وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالاً ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً »[1] هذا .. إلا أن غرض القول فى أكثر أحواله لا يوحى باتباع المنطق فى القول والتزام الحجة فى المناقشة ، فأى منطق شديد يلتزمه خطيب يتكلم فى حرب البسوس ، وقد مكثت أربعين عامًا بسبب ناقة عجفاء ؟ وأى حجة صائبة يتذرع بها متحدث فى معركة (عبس وذبيان)، وقد فاضت بها مئات الأرواح من أجل فرس سابق ؟ لا ننكر أن من بعض خطباء الجاهلية حكماء عقلاء (كأكثم بن صيفى) ، ولكن تلاطم الحوادث الهوج عن شمال ويمين يعصف بصوت الحكمة ، فلا يكاد يسمع بين قعقعة الرماح وصليل السيوف.. حتى هذه القلة القليلة من الحكماء ، إذا أتيح لها أن تتحدث لم يجئ حديثها متساوقًا يجرى فى اطراد مرتب ، وإنما هى حكم وأمثال تضم إلى بعضها فى استكراه وقهر ، حتى لو تركت جملة ونطقت أخرى ما اضطرب السياق ، واستعرض إن شئت ما تعورف من خطبة (أكثم بن صيفى) فلن تعثر إلا على مثل قوله :

إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعًا، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ، آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء ، المرء يعجز لا محالة ، أفضل الأولاد البررة .. إلخ »[2] .

(١) « البيان والتبيين » ، ج ٣ ، ص ٢٥.

(٢) « جمهرة خطب العرب » ، ج ١ ، ص ٢١.

فماذا ترى فى كلمة هذا العاقل الحكيم غير حكم معقولة رصت رصًّا ، وحشدت حشدًا دون سياق مطرد . ولو سارت خطب الخطباء على هذا النهج الجاف ما انتفع بالخطابة ملأ ، وما كان للخطباء تأثير . وقد توجد فى بعض ما روى عن القوم خطب متماسكة ، ولكنها من القلة الضيقة بحيث لا نملك الحكم عليها كطابع بارز للخطابة فى العصر الجاهلى ، هذا إذا عرفنا أن بعض هذه الخطب المتماسكة مما يجوز أن نحكم عليه بالوضع ، لأن من أفكاره مالاً يتهيأ لجاهلى لم يشرف بنور الإسلام ، كما أن بعضها الآخر لا يخالجنا شك فى صحته كخطبة (قس ابن ساعدة) الذائعة مثلاً . وهذه الخطبة لم تعدم من يشك فى صحتها (كزكى مبارك وطه حسين) وغيرهما . ولكننا نعتقد أن الخطيب الذى ضربت به العرب المثل فى الفصاحة فقالت : (أبلغ من قس) . لا يمكن أن يحوز هذه الشهرة الفياضة وهو شخص أسطورى كما يزعم الزاعمون ، إذ إن جميع القبائل الضاربة فى بطون الجزيرة العربية ، أعقل من أن تخدع بشخص لا حقيقة له ، فتضرب به المثل وتمدح البلغاء بتشبيههم به . هذا إلى أن الرسول شهده وتحدث عنه وروى قوله . ولن يكون ذلك لغير خطيب مكين .

جاء محمد ﷺ والخطابة الجاهلية لا ترتكز على أساس من وحدة الموضوع ، وصحة المنطق ، فأحدث فيها انقلابًا كبيرًا يجب أن يشير إليه الباحثون ، إذ لم يرها ﷺ مجال خلابة ومباهاة وموضوع افتخار بالفصاحة والإغراب . ومصدر تيه وإعجاب للمتفيهقين المتشدقين بل كان عليه الصلاة والسلام حربًا على هذه الفقاقيع التى لا ترى فى الخطابة إلا معرضًا للثرثرة واللمز والتطاول والادعاء . وإذا كانت خطب اليونان على اشتهار صيتها وجهارة رجالها لم تسلم فى بعض موضوعاتها من السفسطة الخالية والتضليل المغرق ، بحيث عيب على نفر من أعلامها تطاولهم على الحق وتغريرهم بالمستمعين ، فإن محمدًا ﷺ بخطبه النبوية قد وضع الميزان الجديد للخطيب المنصف الأمين .

لقد هيأت الأقدار لرسول الله أن يكون المثل الأعلى للخطيب الممتاز : شكلاً وموضوعًا ، أما من ناحية الشكل : فنحن نعلم أن مؤرخى الخطابة يعدون المظهر المرئى لشخص الخطيب من بواعث توفيقه ، ودلائل نجاحه ؛ فالخطيب البارز الوضيء النظيف ذو الصوت الملىء ، واللفظ المطلق يحوز بوادر النجاح لمجرد رؤيته ، إذ القلوب إليه أجذب ، وعلى سماعه أحرص .

وقد كان رسول الله ﷺ - كما وصفه (ابن أبى هالة) - : وقد كان وصافًا شهيرًا ، فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، عظيم الهامة ، رجل الشعر، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سابغ من غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، ويحسبه من لم يتأمله أشم . كث اللحية، أدعج سهل الخدين ، أشنب مفلج الأسنان . خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء[1] . وبدهى أن الخطيب حين يتحدث إنما يظهر انفعاله فى وجهه ، فإذا رزق صباحة وضاءة فقد ضاعف انفعاله من جماله وضاعف فى تأثير سامعيه . هذا قول ينص عليه علماء النفس ولنفوسنا جميعًا خبرة به ، فكم من دميم تزدريه النفوس ولا تحب أن تسمعه . وإذا كان بعض الخطباء (كالحجاج والأحنف) من ذوى الدمامة ، فيعلم الله كم بذلوا من التحبب والتلطف حتى تدسسوا إلى نفوس السامعين ، فتحملوا بذلك ما عوفى منه ذو الطلعة الصبيحة كرسول الله ، أما صوته فكان رقيقًا سلسًا مفصلاً حتى ليحفظه السامع إذا سمعه . لا يمل إلى صخب مرتفع ولا تعوقه حبسة أو تقف به تأتأة أو لتغة . فإذا تكلم أشرق ثناياه فكأن شعاعًا أضاء . وكان مع هذه الصفات الموهوبة يزيد إلى مظهره حسنًا باحتفائه بما يجمل ويزين ، إذ يخضب لحيته بالحناء فتبدو شقراء جميلة ويحب التطيب بالعطر ليأنس إليه من حوله ، وكان يكره أن يرى رجلاً أشعث أغبر منكوث الشعر ، أو ذا أسنان صفر لا يتعهدها بالسواك[2] ، ويراعى التناسق فى

(١) « محمد المثل الكامل » ، ص ١٠٢.

(٢) « ثورة الإسلام » ، ص ٣١٤.

الإطار العام ، فحين دخل مكة يوم الفتح لبس عمامة سوداء مشابهة للون الراية التى ترفرف من فوقه . هذا المظهر الشكلى للخطيب يفرغ عليه من المهابة ، والقبول ما تعرفه نفوسنا دون تأكيد .

أما اهتمام الرسول بالموضوع فى خطبته ، فقد ملأ عليه أقطار نفسه ، لا يهم بالحديث فى موقف حتى يهيئ معانى القول ، وما ذلك لعى أو ضعف كما يتصور البسطاء ولكنه ﷺ يعلم أنه مسئول عن كل لفظ ، وأن صحابته سيتداولون حديثه كما نطق به ، فلابد أن يختار من الألفاظ المحددة ما لا يدع المجال للتفريع والتشقيق. هنا موضع تهيئة القول وهنا مجال التحديد ، وهنا أيضًا تعليل ظاهرة الإيجاز التى انطبع بها أدبه – أو كاد .

ولنا وقفة يسيرة عند إيجازه فى أكثر من خطبة . وقد بز عليه الصلاة والسلام الخطب الطوال بالكلام القصير ، إذ إن الإيجاز العربى فى بلاغته المعجزة وليد ذهن ثاقب يستعرض حشودًا من المعانى ليبرزها فى عبارة محدودة ، تكون جوامع الكلم وشوارد المثل ، فهى عصارة مركزة لمادة دسمة تضم من أسباب القوة ما يتيح لها التغلب والنفاذ ، وهنا كان الأديب الموجز أعرق فى البلاغة من الأديب المطنب ، إذ إن الثانى يدون خواطره كما تجىء ، أما الأول فيقف وراء هذه المعانى المنثالة ، يطالع وجوهها ويتأمل منازعها ، ثم يأتى بفحواها الشامل فى جملة تصيب المحز وتطبق المفصل . وأذكر أن بعض البلغاء من أساطين الأدب أرسل خطابًا مسهبًا فى أحد أموره ، ولم يفته أن يعتذر فى نهايته عن الإطناب كأثر ملحوظ ، إذ لا وقت لديه يتسع للإيجاز ، ولن يقدر هذا الاعتذار الصادق غير من تمرس بأساليب البيان فعرف مضايق الإيجاز . وقد فطن الأستاذ أحمد حسن الزيات ، إلى روعة الإيجاز فى البلاغة العربية فقال متحدثًا عن بيان محمد ﷺ :

« والإيجاز هو تأدبة المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة ، غالب على أسلوب الرسول لأن الإيجاز قوة فى التعبير ، وامتلاء فى اللفظ ، وشدة فى التماسك ، وهذه

صفات تلازم قوة العقل ، وقوة الروح ، وقوة الشعور ، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون فى الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم فى خطبه[1] .

ونحن نعلم أن أصحاب الدعوات الكبيرة فى حاجة ماسة إلى تكرار القول وترديده ، والخروج به من نطاق الدقة والتحديد إلى مجال الإسهاب والتطويل ؛ لترسخ مبادئهم فى الأذهان ، وتصل تعاليمهم إلى القلوب ، فالإيجاز – إذًا – فى ظاهر الأمر لا يصل بهم إلى الهدف المنشود . نعلم ذلك ولا نستغربه من قادة الرأى، ورواد الإصلاح فى عصورنا الحديثة . ولكن الأمر جد مختلف بيننا وبين عصر النبوة، فالعرب إذ ذاك قوم بلغاء يقدرون الإيجاز حق قدره ، وقد قالوا فى بعض قوانينهم الأدبية : إن البلاغة الإيجاز ، فهم إليه أميل وما نزع نازعهم فى الإسهاب إلا عن ضرورة تحتم ذلك ثم يعود إلى الإيجاز ، مكتفيًا باللمح والومض عن الطرق الملح والتشقق المتفرع ، هذا إلى أن رسول الله كان يحارب الثرثرة فيما يحارب من الآفات ، ويراها مضرة البلاغة فى القول ومدعاة الشغب فى العمل ، حتى قال فى بعض أحاديثه : « إن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة : الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » .

وقد يقتضى الأمر – لمناسبة عارضة – أن يفيض رسول الله فى القول فلا يتأخر، لذلك روى (أبو سعيد الخدرى) أن محمدًا ﷺ قد خطب ذات يوم بعد العصر ، فما زال يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة فوق أطراف السعف ، ولسنا نجد من يخبرنا عن موضوع خطبته تلك ؛ لنعرف الدافع الذى حدا به إلى تجنب الإيجاز ، ومن يدرى ، لعل الله قد شاء له أن يطيل لا شعوريًّا فى موقف كذا ليعلم الحسدة من أعدائه أنه يملك أزمة البيان المطيل ، وأن إيثاره الإيجاز ترجيح صائب للجادة المثلى من طرق الحديث ، وإذا كان لكل مقام مقال ، فإن مقال الإيجاز يستدعى من الخبرة النفسية والثقافية الملهمة ذخيرة وافية واقية ، فقد تحين المناسبة المرتقبة ، وتتفتح

(١) « وحى الرسالة » ، ج ٣ ، ص ١٩.

نوافذ القول من كل ناحية ، ويظن المستمعون أن مجال الخطابة ذو سعة ، ثم يقف محمد فيوجز إيجازًا لا مجال بعده لإطناب وتهويل ، ويترك النفوس ذاهلة لا تدرى كيف استطاعت الجمل المحدودة أن تفعل ما لا يفعله حديث اليوم الطويل ، فتخلق جوًّا من التأمل والعبرة والحيرة ، يمتد أيامًا طويلة دون أن ينقطع فيضه وأن يغيب صداه . هذا رسول الله يرجع إلى مكة يوم الفتح الأعظم ، فيقتحم عرينًا طالما جمع أعداءه وذوى الضغائن من مناوئيه ، وتخفق راية النصر على جيش الإسلام سابقًا ظافرًا ، وإذ ذاك تتطلع العيون الكافرة دامعة مغيظة ترتقب أن يفاجئها الجزاء الرادع من المنتصر الظافر دون إبطاء ، ثم يقف الخطيب القائد ، فلا يشك مستمع فى أنه سيتعرض إلى تاريخه الطويل مع أعدائه متشفيًا شامتًا ، وسيعدِّد ما مَنّ الله عليه به من فوز سباق ، ثم يميل بالتهديد والوعيد إلى قوم أخرجوه من وطنه ، وآذوه فى دعوته وناصبوه الحرب فى مغتربه ، بالله : كم ينتظر السامع من محمد فى مثل هذا اليوم الأغر . إنه ليقف والأبصار خاشعة والرقاب منحنية فيقول :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا ، فيها الدية مغلظة منها أربعون خَلِفة فى بطونها أولادها » .

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] .

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

يا معشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم ، قالوا : خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء[1] .

ما هذا الإفحام البليغ تنبعث به حروف معدودة ، فتترك النفوس ذاهلة مأخوذة ، كم يستشعر الطليق من ذات نفسه ندم الخجل فيرى فى وجهه عرق الخزى ، ويحس فى حلقه مرارة الأسف . وكم من الساعات سيظل مرددًا لقول محمد : اذهبوا فأنتم الطلقاء . مستحييًا أن تعود به الذكرى إلى باطل سلف ، وإثم أدبر ، أرأيت الإيجاز يبلغ مبلغه من النفوس حتى يصبح فى كلماته مثلاً شرودًا مجلجل الأصداء ، تاركًا فى النفس أعنف ضروب التأثير . إنه لا شك وليد خبرة بالمنازع الهاجسة ، يحدوها بما يضمن لها الهدوء والتثبيت .

الإيجاز إذًا كان السمة الأولى لخطابة محمد ﷺ ، وتجاوره السمة الثانية المتجلية فى قوة الإقناع ، إذ كانت خطب الرسول من روعة إقناعها الملجم ، بحيث لا تدع منفذًا لمهاجم متربص . فإذا سألت عن مصدر هذا الإقناع وجدته الصدق الحار الذى تنفعل به نفسه نحو رسالته العالية ، فكثير من الخطباء من يغترون بمواهبهم الكلامية ، فيخطبون فى الدعوة إلى أمور لا يعتقدون صوابها ، بل سيقوا إلى ذلك سوقًا وراء نفع مادى أو منصب حكومى أو تأييد حزبى . ومهما أتقنوا التمثيل والمداراة ، فلن تجد لدى حديثهم هذا برد الاطمئنان فى نفسك ، لأنهم لا يزيدون عن محترفين يمثلون أدوارهم دون أن تشتعل فى صدورهم جذوات الصدق ، وهى التى تهيج هائج الانفعال ، فيوحى بالنفاذ والتأثير ، أما محمد ﷺ فقد كان صدقه الحار ، وإخلاصه القوى ، وإيمانه الأكيد برسالته مما يدفعه إلى قوة الإقناع . إنه ليس خطيب قبيلة يتحدث عن مفاخرها بالباطل والحق ، ولكنه نبى يؤمن بضرورة الإصلاح الذى اقتنع به ، وعليه تبعًا لذلك أن يقنع الناس . هذا الصدق الحار يدفعه إلى أن يخلو إلى نفسه فيتلمس وسائل الإقناع من مشهد حاضر ، أو دليل

(١) « جمهرة خطب العرب » ، ج ١ ، ص ٥٢.

ملموس ، أو سؤال واضح الإجابة ؛ ليمهد بذلك الطريق إلى العقول والقلوب ، لنا أن ننظر فى أول خطبة رويت عنه ، وهى التى قالها حين صدع بالدعوة تنفيذًا لأمر ربه . كان من المظنون والمقام مقام دعوة جديدة لنبى جديد أن يعد نفسه – لو لم يكن محمد بن عبد الله – لموقف طويل يشغل الساعة والساعتين وأن يتحدث عن تاريخ حياته بإفاضة يمهد بها لهذا الطارئ الجديد ، وأن يستغيث بروائع الأخيلة ، ذات التهويل ، والعبارات ذات الجرس يقرع بها الأسماع ، ولكنه ليس محترفًا للقول يصول به مباهيًا بالإطناب والخلابة والمغالطة ، بل هو نبى يعتمد على الصدق الملجم والإقناع المفحم ، فيصعد إلى الصفا بمكة ثم يلتفت يمينًا وشمالاً ، لينادى بصوته المطبوع النافذ : « يا معشر قريش ، يا معشر قريش ، فيتواثب الجالسون ، ويتدانى النازحون يستمعون إلى هذا الذى وصفوه بالصادق الأمين ، لم يشكوا لحظة فى صدقه أو يماروا ساعة فى أمانته ، يستمعون إليه وهو يسألهم فى هدوء : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقى ؟ فيصيح الملأ فى صوت واحد : نعم ما جربنا عليك كذبًا ؟ فيتفرس فى وجوههم وقد ألزمهم بتصديقه حين وجه إليهم سؤاله ، فأجابوا عنه بما أرضاه ، ثم يقول متابعًا : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزُونّ بالإحسان إحسانًا ، وبالسوء سوءًا ، وإنها لجنة أبدًا ، أو لنار أبدًا »[1] .

أرأيت إلى الإقناع الملزم ، يأخذ به محمد العقول ! لقد سألهم عن صدقه فاعترفوا به ، ثم أقسم لهم بما يثبت هذا الصدق ويؤكده حتى إذا أعلن رسالته إليهم خاصة وإلى الناس كافة ، لم يترك الأمر دون تدليل ، فهناك حساب وبعث وجزاء ، لئن كانوا ينامون فالموت كالنوم حقيقة واقعة ، ولئن كانوا يستيقظون فالبعث كاليقظة حقيقة أخرى ، ووراء البعث جزاء وحساب ، وإنها لجنة وإنها لنار .

(١) « جمهرة خطب العرب » ، ج ١ ، ص ٥٢ .

لا أظن أن كلمات هذه الخطبة الموجزة تغيب عن سامعها . ولابد أنها كانت مجال نقاش وعراك بين المجتمعين . لقد اعترفوا مجمعين أنهم ما جربوا على الرجل كذبًا . وهم يعلمون أن الرائد لا يكذب أهله ، ثم لا يستطيعون فى سطوة هذا البيان المقنع أن يدفعوه ، فيكون قصارى قائلهم الألد الخصيم أن يسأل : ألهذا جمعتنا ؟

صارت خطب الرسول بهذا الإقناع الصريح مرتبة الألفاظ ، مطردة المعانى ، واضحة التركيب ، لأن تعمد الإقناع يدفع صاحبه إلى أن يجرى القول فى نسق متصل يسلم أوله إلى آخره كما تسلم درجات السلم – طال أو قصر – بعضها إلى بعض فى غير مشقة ، وأقوى الكلام ما طرق عليك عقلك طرقًا تعيه بتأملك ، حتى إذا بلغ موضعه من فكرك انتقل تأثيره إلى وجدانك ، فيقتنع به اقتناع الواثق المدرك ، وعشاق الخلابة اللفظية يطربون الوجدان بمعسول الألفاظ وما تتضمنه من سجع وازدواج طربًا سطحيًّا ، فلا يلبث الوجدان أن يفيق من طربه إذا استعاد خطب الخلابة اللفظية مرة أو مرتين ، لذا .. يجدها بالتكرار قد نفضت زركشتها السطحية ، ووقفت عارية عن التأثير المقنع ، أما الذين يقنعون الوجدان بالقول الحى ، والمعنى الصادق فلن تزول حرارة تأثيرهم النفسى مهما تكررت أقوالهم ؛ لأنها بإقناعها الفكرى فى حرز مكين .

استمع إلى مثل ذلك من قول محمد فى خطبة له :

« أيها الناس ، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدرى ما الله قاض فيه ، ليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلاّ الجنة والنار »[1] .

(١) « إعجاز القرآن » ، للباقلانى ، ص ١١٠.

أرأيت كيف قسم الخطيب أفكاره وحدد معانيه بين الماضى والمستقبل ، والذاهب والآيب ، وقد برع فى المقابلة بين الدنيا والآخرة وبين الشبيبة والكبر ، والحياة والموت ، والأجل الماضى والأجل الباقى ، براعة من يقابل بين معان متعارضة ترسم بتعارضها فجاءة فى النفس ، وليس حلية لفظية من البديع ، يتكلفها متكلف دون أن تغوص إلى حقيقة متعارضة فى كبد الحقيقة الإنسانية ، وهنا مجال التأثير القوى ، لا الخلابة السطحية التى تتصيد من زائف المحسنات .

لقد أكثر الواعظون من لدن رسول الله إلى يومنا هذا من التحذير من الموت ، فلا تكاد تسمع خطبة جمعة حتى يأخذ عليك الخطيب منافذ سمعك بعبارات مكررة ، تشير إلى الجزاء والثواب والجنة والنار واليوم الآخر ، وليت هؤلاء يعلمون أن مجرد ذكر الموت والجنة لا يترك تأثيرًا ، إلا فى حديث مرتب مقنع كحديث الرسول ، فليست المسألة مسألة تهويل وترهيب ، دون خطة تحكم الإقناع ، ليتهم يرتسمون مثل قول محمد ﷺ فى إحدى خطبه عن الموت :

« أيها الناس ، كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى يشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أحداثهم ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ، نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه فى غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سريرته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة »[1] .

تلك نصوص صريحة من خطب نبى الإسلام ، تتسم بالإيجاز وقوة الإقناع وحرارة الصدق ، وهى بعد ، واضحة التركيب سلسلة اللفظ ، ولعل هذه جميعًا هى السمات البارزة فى خطبة عليه الصلاة والسلم .

(١) « جمهرة خطب العرب » ، ج ١ ، ص ٥٣.

نقول – لعل – ولا نجزم ، لأن مئات الخطب النبوية قد ضاعت دون راو ، لقد كان عليه الصلاة والسلام يخطب فى العام الواحد خمسين خطبة جمعة ، دون غيرها من خطب الغزوات والعيدين ، والكفاح ، والاستسقاء ، فكم من الخطب قالها على المنبر فى عمره السعيد . إن كتب الأدب والسنة لا تتجاوز عدد أصابع اليدين ، فماذا جمعت من خطب محمد ﷺ !! أليس لنا أن نتخذ من ذلك دليلاً على أن الراوين عنه لم يتزيدوا عليه فيما رووه من الآثار ، وإلا فلو كان كل راو يترك لنفسه العنان أن ينقل من المعانى ما تدل عليه ألفاظه الخاصة كما ظن بعض الواهمين، لرويت لنا مئات الخطب عن رسول الله ، ولكن قلة ما روى من هذه الخطب دليل التثبيت والاحتياط .

لقد حفظ لنا الدهر خطبة جمعة كاملة رواها الطبرى ، وكأن الزمن قد شاء أن يقدمها مثالاً لمنهج سنة الرسول ، ثم أتبعه خطباء الإسلام من لدنه ، ليظهر تأثيره فى الخطب الدينية بدءًا وطريقة واستشهادًا بالقرآن وموعظة بالتى هى أحسن ، ونحن ننقلها فى مجال البحث عن خطابة محمد ؛ لتكون أحد شواهد تأثيره البارز فى هذا المجال . قال عليه الصلاة والسلام فى خطبة جمعة بالمدينة : « الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادى من يكفر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط ، وضل ضلالاً بعيدًا ، وأوصيكم بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرًا ، وأن تقوى الله لمن عمل بها على وجل ، ومخالفة من ربه ، عون صدق على ما تبغون ، من أمر الآخرة ، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية لا يبتغى بذلك إلا وجه الله ، يكن له ذكرًا فى عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم وكان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا ويحذركم الله نفسه

والله رءوف بالعباد ، والذى صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك ، فإنه يقول عز وجل : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[1] فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا ، ومن يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا ، وإن تقوى الله يوقى مقته ويوقى عقوبته ويوقى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجوه وترضى الرب وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم، ولا تفرطوا فى جنب الله ، قد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا قوة إلا بالله . فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد هذا اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم »[2] لقد نقل هذه الخطبة الدكتور (شوقى ضيف) فى بحث بالثقافة عن « خطابة الرسول » ، ثم قال تعقيبًا عليها :

« وما من ريب فى أن صورة هذه الخطبة – إذا صحت – هى الصورة التى تحكمت فى خطب الجمع النبوية ، كما تحكمت فى خطب من جاءوا بعده من حيث طريقة افتتاحها بالحمد لله ، والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم من حيث توشيحها بآى القرآن الكريم ، ثم من حيث ما تعالجه من الدعوة إلى تقوى الله ، وخشيته وطاعته وطاعة رسوله ، وما جاء به من أوامر ونواه » وقد امتازت الخطبة بالتكرار فى ألفاظها ومعانيها ، ونحن نعرف أن التكرار من أهم رسل الأسلوب الخطابى وقد كان النبى ﷺ يميل إلى هذا التكرار كما يبدو من خطبته الكبيرة الأخرى التى احتفظ لنا الرواة بكثير منها ، ونقصد خطبة حجة الوداع[3] .

(١) سورة ق : ٢٩ .

(٢) « تاريخ الطبرى » ، ج ٢ ، ص ٢٥٥.

(٣) « مجلة الثقافة » ، السنة الثامنة ، ص ١٣٣٥.

ونحن نؤكد مع الدكتور أن هذه الخطبة وعشرات مثلها من قول الرسول قد خطت للخطبة الدينية مجراها ، بدءًا ، بالتحميد والصلاة على رسول الله واستشهادًا بآيات القرآن . وإذا كان فيها بعض الطول النسبى كما فى خطبة الوداع ، فإن الذى نرجحه أنه عليه الصلاة والسلام كان يميل إلى قصر الخطبة فى أكثر أحواله . ودليلنا عليه ما أسلفناه من بعض خطبه ، ثم قوله عليه الصلاة والسلام : أقصروا الخطبة ، وأطيلوا الصلاة !

أجل .. لقد ظهر تأثير الخطب النبوية فى خطب خلفاء الإسلام بعد محمد ، فما روى عن أبى بكر وعمر من المشهورات الذائعات ينحو المنحى النبوى ، ولو كان فى المقام سعة لاستشهدنا بخطبتهما – على الأقل – عند التولية ، ولكن اشتهار ما روى عنهما يشفع لنا حين نهمل ترداد الذائع المشتهر لدى القراء .

أما على بن أبى طالب فقد تربى فى بيت النبوة وتأثر من الهدى النبوى بما نضح على بيانه قوة وبهاء ، ولكن حوادث عصره وما أقساها على نفسه ، قد دفعته إلى ضرب من الإطناب يثير به هؤلاء القاعدين عن نصرته ، ويناوئ به هؤلاء الذين نازعوه حقه ، وفتحوا باب الشر على المسلمين ، فتساقطت الأرواح فى معركة خسر فيها الإسلام مئات من رجاله ، وفى طليعتهم أمير المؤمنين الشهيد كرم الله وجهه ، فإذا قرأنا خطب العصر الأموى ، رأينا من رجاله من عاد إلى الطبيعة الجاهلية من الجلجلة بالغريب والخلابة بالتمويه، والتزيد فى اللجاج طمعًا فى الغلبة (كالحجاج)، ومن نهجوا النهج المحمدى فى الدعوة إلى الله بالإقناع والمنطق والتأثير (كالحسن البصرى) ، وأكاد أقول (كأبى حمزة الشارى) لولا ما نعرفه من تعسف جماعته ، وتهورها فى مؤاخذة المسلمين دون عدل .

إن رجلاً يحول الخطابة العربية من مجرى معوج إلى مجرى مستقيم ، ويرسم بطابعه الأدبى آلاف الخطب الدينية – وغير الدينية فى بعض الأحيان – على مد العصور الإسلامية لجدير أن يكون خطيب عصره دون منازع ، وخطيب لغته دون

منازع ، وخطيب لغته دون منازع . ولسنا نضيف إليه أمرًا خارجًا عنه حين نبين تأثيره الخطابى ، ولكننا نعترف بالحق لصاحبه فى مجال الرصد النزيه .

ولابد من وقفة هادئة لدى خطبة الوداع ، إذ إن لها أكثر من دلالة هنا فى تقدير نبوغه الخطابى إذا عرفت ظروفها الحرجة ، وما اشتملتها من مناسبات .

لقد كان الجمع الحاشد الذى خطب فيه الرسول خطبته تلك ، أكبر جمع أتيح لمحمد ﷺ أن يخطب فيه ، فقد حشد من حجاج القبائل ما لم يتيسر جمعه قبل ذلك ؛ إذ أتت الخطبة بعدما رسخت أقدام الإسلام ، وخطبت وده الوفود متحدثة بلسان القبائل ، وأدرك الجاحدون من المشركين أن نجم الإسلام قد تألق وازدهر ، وأن التخلف عن ركبه حكم نهائى بالاعتزال والهوان ، ولأن يكونوا ساقة فى جحفل الإسلام ، تتقدمهم الطليعة والقلب والجناحان خير من أن يصبحوا لا شىء إطلاقًا فى ركب الحياة ، هذا الجمع الحفيل بالحشد ، قد وقر فى نفس خطيبه بإلهام ربانى أنه لن يقف هذا الموقف مرة أخرى ، إذ سيأتيه اليقين الصادق قبل دورة العام ، وهذا ما عبر عنه صراحة حين قال : « فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، فى موقفى هذا » . وقد يطرأ مثل هذا الخاطر فى نفس غير النبى فيتجاهله ويلتمس المبررات لتكذيبه ، ثم يستريح إلى هذا التجاهل ، ويسير مع الحياة سيرًا طبيعيًّا لا يكدره تذكر الرحيل القريب ، ولكن طروقه فى نفس نبى ملهم عودته الأيام أن تصدق تنبؤاته مما يستحيل معه التجاهل ، فما ظنك بخطيب يجتمع أمامه حشد لم يجتمع مثله من قبل ، ويحس أن عليه لهذا الجمع عبء الإبلاغ . ليخرج من التبعة أمام ربه وأى إبلاغ ذلك ؟ ليس الأمر إبلاغ مسألتين أو مسألة ، ولكنه إرساء حقوق الإنسان على وضع وطيد ، فلابد أن يتحدث عن حرمة الدماء والأموال ، وعن أداء الأمانات إلى أصحابها ، وعن تحريم ربا الجاهلية ، وعن ديات القتل عمدًا وعن غير عمد ! وعن النسىء وضلالته ، وعن النساء ما لهن وما عليهن ؟ وعن الأخوة الإنسانية التى ترجع إلى أصل واحد هو آدم ، وعن الميراث والوصية . مسائل هامة مختلفة

لو تزاحمت فى صدر خطيب غير محمد فى مثل موقفه لطار سداده ، وارتج عليه فى مقامه . ولكنه يقدر عبء التبليغ ويستشهد بالله على أدائه ، ثم يرسل هذه الكلمة الشاملة التى جمعت فأوعت ، ثم كانت بمناسبتها وتعدد موضوعاتها ، وغرابة شعور قائلها موضع العجب والإعجاب . وها هى ذى :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد ، أيها الناس ، اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم (عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب) ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير، ومن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، إن عدة الشهور اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات الأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد ، إن لنسائكم عليكم حقًّا ، وإن لكم عليهن حقًّا لكم

ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرًا . أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم أعناق بعض ؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وأهل بيتى[1] . ألا هل بلغت اللهم اشهد ، أيها الناس ، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى . ألا هل بلغت قالوا : نعم ، قال : ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، أيها الناس ، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث من وصيته أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من دعى إلى غير أبيه ، وتولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً[2] .

إن القدرة على إيجاز كل هذه المعانى فى هذه الكلمات مع الحرص على الإيضاح والتفهيم ، فى موقف لا يظن صاحبه أن يتكرر ، لمجال الروعة ، وهو إن دل على قوة العقل ، وامتلاك أزمة القول ، فإنه يدل مع ذلك على رباطة الجأش وقوة النفس، والنزول على حكم الله راضيًا مغتبطًا به ، وتلك شيم الأنبياء . وهناك عنصر مهم من عناصر الخطابة النبوية يكاد يبلغ وحده من التأثير ما تبلغه كل الخصائص مجتمعة ؛ لأنه ينبئ عن معدن قائله ، وأعنى به : عنصر الشجاعة الأدبية لدى

(١) انفرد الباقلانى برواية : وأهل بيتى ، وأخالها بعيدة ؛ لأن رواية النسائى المختصرة ، وروايتى البخارى والترمذى المتوسطتين ، وروايتى مسلم وأبى داود المبسوطتين ليس فيهما « أهل بيتى » وقد جاء حديث حجة الوداع بالتاج ، ج ٣ ، ص ١٧٥ عن مسلم.

(٢) « إعجاز القرآن للباقلانى »، ص ١١١.

المتكلم، فالخطيب إذا كان شجاع الرأى ، يزأر فى وجه العاصفة بعزيمة لا تعرف النكوص ، فإن المعجبين به يتزايدون حتى ليكون من بينهم بعض خصومه ، وإذا كان هؤلاء يستشعرون الغيظ لجراءته ، فإنهم فى قرارة نفوسهم يسمعون أصوات الضمائر صارخة بالإعجاب والدهشة . هؤلاء هم المعارضون ، فما ظنك بالمؤيدين الذين يجدون فى حديث الخطيب ترجمة عن مشاعر مكظومة ، وتعبيرًا عن أحاسيس مكبوتة . ومهما كانت عبارة الخطيب الشجاع سهلة قريبة ، فإن هدفها الأسمى يغنى عن كل صورة خالبة ، ولم يعرف تاريخ النبوات رسولاً حمل أمانة اللسان كما حملها محمد بن عبد الله ؛ لأن بيئته العربية قد جمعت قومًا لدًا يرمون بالخطب الطوال ويقذفون بالحجج السوائر ، فإذا صيح فى وجوههم بما يسفه أحلامهم فتلك هى الشجاعة الأدبية ، وهناك ضرب من الشجاعة الرائعة يفوق مجابهة الباطل ومدافعة الطغيان ، ذلك هو الاعتراف الصريح بحقوق المعارضين ، ومواجهة مطالبهم بما يحفظ جانب الحيدة والإنصاف ، والخطيب فى مثل هذا الموقف يحتاج إلى رصيد ضخم من كرم النحيزة ، وعراقة الضمير ومتانة الخلق ، وإنى لأعرف لمحمد مواقف رائعة أنصف فيها معارضيه من نفسه فى شجاعة مخلصة ، فزاده الإقرار بالحق رفعة وجلالاً .

لقد غضب بعض الأنصار عقب غزوة حنين ؛ إذ نال المهاجرون من سبى المعركة أكثر ما نالوه وهم ذادة الدعوة ، وحماة الإسلام ، ومضى حديثهم إلى محمد ﷺ فبادر بالنهوض إليهم ، وجابه الموقف فى نزاهة العادل ، وإنصاف الأمين فعرف لهم حقهم كما عرف لنفسه حقها ، وكان فى مكنته – لو تخلى عن شجاعته المنصفة – أن يتحدث عن نفسه وحدها ، فيفيض فيما نشره الإسلام على المدينة من أمن وسيادة ، ولكنه نظر إلى نفوسهم ، فعرف خوالجها المقنعة . ولمس نبضات الأفئدة وهمسات النوازع فعرف صدقها الصريح ، وصور ذلك حينما قال :

« يا معشر الأنصار ، مَا قالةٌ بلغتنى عنكم ، وموجدة وجدتموها فى أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ،

قالوا : بلى ، لله ورسوله المن والفضل ؟ فقال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ، قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ فقال : أما والله ، لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبًا فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريدًا فآويناك ، وعائلاً : فآسيناك ، وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يرجع الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا وسلك الأنصار شعبًا سلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا[1] .

هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامئ ، فأخصبت الجديب ، وأنعشت الذاوى ، بل إن تيارها القوى قد دفع بالدمع إلى العيون ففاضت المحاجر ندمًا واستسلامًا ، ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة بين رجوع المهاجرين بالشاة والبعير ، ورجوع الأنصار برسول الله ﷺ .. وهى إحدى وثبات العبقرية فى خطابة الرسول . وكم لها من أمثال !

* * *

(١) « زهرات منثورة » للأستاذ عبد الله عفيفى ، ص ٩٨.